

القائد العظيم

صلاح الدين الأيوبي



Joylino

صلاح الدين الأيوبي

من طفل صغير إلى بطل عظيم

كان نهر دجلة يجري بجوار مدينة تكريت. وخلف أسوار المدينة
الحجرية، ولد طفل صغير.
سموه يوسف.

لم يكن يعرف بعد كيف يركب حصاناً أو يقرأ كتاباً. كان يمسك
بإصبعه الصغير إصبع أمه.

وبعد سنوات، ستمسك هاتان اليدان بزمام جيش كبير، وستمتدان
لمساعدة المحتاجين.

سيكبر هذا الطفل، ويترك أثراً في التاريخ بشجاعته وذكائه وكرمه.
وسيصل اسمه إلى مدن بعيدة، وتُروى حكايته على مر القرون.
كان ذلك الطفل هو صلاح الدين الأيوبي.



بدأت حياة يوسف الصغير بالرحلات. انتقل مع أسرته إلى مدن أخرى، وتعرّف إلى شوارع جديدة وأناس جدد.

كبر والكتب أمامه، وأهل العلم من حوله. استمع إلى دروسه، وتعلّم أمور دينه، وازداد علماً.

كان أبوه يعمل في إدارة المدينة، وكان عمّه شريكه قائداً خبيراً. ونشأ يوسف وهو يتعلّم منهما.

وكان لا يزال أمامه الكثير ليتعلّمه.

ففي يوم من الأيام، سيتخذ قرارات مهمة، ويحمل مسؤولية أناس كثيرين. ولهذا كان عليه أن يعدّ نفسه أولاً.

هكذا بدأت رحلة صلاح الدين الطويلة: يتعلّم، ويجتهد، ويكبر خطوة بعد خطوة...



ومع مرور الأيام، كبر يوسف الصغير.
وأصبحت أمامه طرق أطول بكثير من طرق ساحات المدرسة.
فانطلق إلى مصر مع عمّه شيركوه.

كان الغبار يتصاعد تحت حواف الخيل، والطريق يمتد حتى يصير
خطاً رفيعاً في الأفق. وفي نهايته، كانت أرض النيل تنتظرهما.
كانت مصر تمر بأيام صعبة، وكانت هناك أطراف تتنافس على
حكم البلاد.

تولّى صلاح الدين فيها مهامّ مهمة. واجه الصعوبات، واكتسب
الخبرة.

وحين توفي عمّه، أُسندت إليه مسؤولية كبيرة: أصبح وزيراً.
ومنذ ذلك الحين، صارت قراراته تؤثر في حياة آلاف الناس.



ومع الوقت، أصبح صلاح الدين سلطان الدولة الأيوبية.
كانت الأخبار والأسئلة وطلبات المساعدة تصل إليه كل يوم.
فالمدن تحتاج إلى الحماية، والبلاد إلى الإدارة، والناس إلى من يهتم
بحاجاتهم.

وفي عهده، بُنيت المدارس والمستشفيات والجسور.
كان الطلاب يدخلون أبواب المدارس، والمرضى يطلبون العلاج
في المستشفيات، والمسافرون يعبرون الجسور.

وامتدت مسؤولية صلاح الدين حتى إلى أصغر شوارع مدنه.
وبينما كان يقوّي دولته، كان يترك أثراً في حياة الناس أيضاً.
لكن صراعاً كبيراً آخر كان ينتظره، صراعاً سيستمر سنوات.
وكانت هناك مدينة بعيدة تنتظره: القدس.



كانت القدس مدينة مقدسة، وفيها قبلة المسلمين الأولى.

قبل مولد صلاح الدين بسنوات، استولى جيش صليبي على القدس. ووقعت فيها مذبحة كبيرة، قتل خلالها كثير من الناس الذين لم يستطيعوا الدفاع عن أنفسهم.

ووقعت مذابح في أماكن أخرى خلال الحروب الصليبية أيضاً. واضطرت أسر إلى ترك بيوتها، وجلبت الحروب آلاماً كثيرة للناس.

أراد صلاح الدين استعادة القدس. وكان هذا الهدف مرتبطاً بمسؤوليته عن حماية شعبه من الهجمات.

لكنه كان يحتاج أولاً إلى جمع القوى المتفرقة.

كان الطريق إلى القدس طويلاً، ويحتاج إلى الصبر والعزيمة.



أمضى صلاح الدين سنوات في الاستعداد. أجرى محادثات،
وعقد اتفاقات، وجمع قوة كبيرة في مصر والشام.
لم تكن كل الخطوات سهلة. أحياناً انتظر، وأحياناً حاول من
جديد.

ولاستعادة القدس، كان عليه أن يواجه الجيش الصليبي في
المعركة.

وفي صيف عام ١١٨٧ الحار، التقى الجيشان عند تلال حطين.
قاد صلاح الدين جنوده. وها هي سنوات الاستعداد الطويلة
توضع أمام الاختبار.

كانت المعركة صعبة. وفي النهاية، انتصر جيش صلاح الدين.
وأصبح نصر حطين إنجازاً عظيماً ترك أثراً في التاريخ.
والآن، انفتح الطريق إلى القدس.



وأخيراً، ظهرت أسوار القدس.

جدران حجرية عالية... وأبواب مغلقة... وخلف الجدران بيوت وشوارع ضيقة...

وقف صلاح الدين أمام المدينة التي سعى سنوات للوصول إليها. بدأ الحصار. ومرّت الأيام والناس في الداخل ينتظرون. أمهات وآباء وأطفال... كانت حياتهم مرتبطة بكيفية انتهاء الصراع. جاء باليان، الذي كان يدافع عن المدينة، ليلتقي بصلاح الدين. تحدّث الطرفان عن شروط التسليم. وبعد الصراع الطويل، توصّلا إلى اتفاق.

ستوقف المعارك الآن.
وستُفتح أبواب القدس.



٢ أكتوبر ١١٨٧...١

فُتحت أبواب القدس. ووصل صلاح الدين إلى المدينة التي سعى سنوات للوصول إليها.

لقد حقق القائد العظيم هدفه.

ولم تتكرر عند تسلمه المدينة المذبحة التي وقعت حين دخلها الجيش الصليبي قبل سنوات طويلة.

وبحسب الاتفاق، كان على معظم المغادرين دفع مبلغ يُسمى الفدية. وقد ساعد صلاح الدين على إطلاق سراح كثير من الفقراء من دون دفعه.

وأصبحت القدس وأهلها تحت حمايته. وسيدافع عن المدينة في وجه هجمات صليبية جديدة.

وسيدُكر صلاح الدين ليس بانتصاره الكبير وحده، بل بالرحمة التي أظهرها أيضاً.



بدأت أيام الترميم في القدس.

عمل البنّاءون والصّناع، ورُمِّمَ المسجد الأقصى وقبة الصخرة. لقد بدأت مرحلة جديدة في حياة المدينة.

لكن الصراع لم ينتهِ بعد.

وصلت جيوش صليبية جديدة من أوروبا، وشارك ريتشارد ملك إنجلترا في الحرب أيضاً. فعاد صلاح الدين إلى القتال لحماية القدس والأراضي التي يحكمها.

مرّت سنوات طويلة ومتعبة. كان يتقدم أحياناً، ويتراجع أحياناً أخرى.

وأخيراً، تمّ التوصل إلى اتفاق عام ١١٩٢. بقيت القدس تحت حكمه، وسمح للزوار المسيحيين بزيارة أماكنهم المقدسة.

هدأ ضجيج الحرب لبعض الوقت.

وصار من الممكن أن تُسمع على الطرق أصوات خطوات الزوار.



بعد الرحلات الطويلة، عاد صلاح الدين إلى دمشق.
عاد إلى المدينة التي نشأ فيها. وكان الآن حاكماً عظيماً، يعرف
الناس اسمه حتى في البلاد البعيدة.
طوال حياته، ساعد كثيراً من الناس، وتقاسم ثروته معهم بكرم.
وفي عام ١١٩٣، مرض وتوفي.
ترك وراءه دولة كبيرة، لكن لم يبقَ من ماله الخاص إلا القليل.
روى من عرفوه ذكريات الأيام التي قضوها معه، وكتب
المؤرخون سيرته في الكتب.
مرّت السنوات، وكبر الأطفال، وتغيّرت المدن.
لكن الناس لم ينسوا كيف أصبح يوسف الصغير قائداً عظيماً.
وهكذا عبرت حكاية صلاح الدين الأيوبي القرون حتى وصلت
إلينا.



والآن، أنت تقرأ هذه الحكاية.

كان صلاح الدين طفلاً ذات يوم أيضاً. كانت أمامه دروس ليتعلمها، وصعوبات ليتجاوزها، وحياة طويلة ليعيشها. اجتهد وكبر، وأصبح قائداً عظيماً وبطلاً شجاعاً. وترك أثراً عميقاً في التاريخ.

ربما تبدأ رحلتك بكتاب تقرأه اليوم. أو بيوم تساعد فيه صديقاً، أو تقف فيه ضد الظلم...

كلما تعلمت، ووفيت بوعدك، وأحسنْتَ إلى الناس، استطعت أنت أيضاً أن تترك أثراً جميلاً في العالم.

وربما يخرج من بيننا يوماً أبطال يسرون على خطى صلاح الدين. يمنحون الأمل بشجاعتهم، ويرشدون الناس بعلمهم، ويحمونهم برحمتهم...

وربما تكون أنت واحداً منهم.

